بسم الله الرحمان الرحيم

التوجهات الشبابية في الموسيقى العربية

ان معالجة هذا الموضوع تطرح مجموعة من الاسئلة لا بد لنا من الاجابة عنها بغاية الصراحة والموضوعية لنجعل منها الارضية الصلبة التي نبني عليها مخططنا لتكوين شباب عربي معبّر باصالته مستعد للدفاع عنها بالنفس والنفيس، متحد في توجهاته واعماله متحد للنظم والحدود ليفرض وحدة عربية ثقافية تسبق الوحدة الاقتصادية السياسية وتمهد لها :

1 - لماذا نرى العدد الكبير من شبابنا يتفاعل مع الاغاني الغربية التافهة الخالية من الابداع الفني المعتمد على الايقاع الصاخب المشنج للاعصاب، ويبذل ما يبذل لاقتناء تساجيلها الصوتية والمرئية ولو كان في الضاهر محافظا على هندامه وجانبا من لغته .

2 - لماذا تعير وسائلنا الاعلامية احسن اوقات بثها وابرز صفحاتها للحديث عن مؤدي تلكم الاغاني واخبارهم الشخصية والثروات التي تحصلوا عليها من بيع تساجيلهم .

3 - لما اصبح بعض الاساتذة يعتقدون انه لا بد من تدريس مقامي "الماجور" "والمينور" الغربيين في اول خطوات الطفل العربي باعتبارهما اصليين للمقامات (كما يقول اهل الغرب) والحال ان طفلنا يستمع ويتفاعل مع مقاماتنا العريقة وقد لقنته امه اياها في المهد، والمحيط الفني الذى ترعرع فيه ونما .

4 - لماذا اصبح عدد من الملحنين العرب يتحاشون المقامات العربية ذوات ثلاثة ارباع البعد الصوتي بين بعض درجاتها مثل السيكاه والبياتي والراست والصبا وخاصة في انتاجهم للاطفال والشباب.

5 - لماذا عمدت الفرق الموسيقية العربية في عدد من اقطارنا الى ازالة بعض الآلات العربية الهامة من فرقها مثل العود والقانون والناى وعوضتها بآلات غربية لا يمكنها بحال اداء موسيقانا العربية اداء صحيحا .

ان قائمة هذه التساؤلات سوف تطول وتطول لو لم نكبل جماح اقلامنا لنفسح المجال للعلاج . وان دلت هذه التساؤلات عن شئ فانها تدل على ان الاستعمار خرج فعلا من بلداننا ولكنه بقي معششا في قلوب الكثيرين منا بما جعلنا نعتقد ان ثقافته هي الاصل واننا الفروع وان السلوك مسلك الثقافة الغربية هو عنوان الحضارة والتقدم وانه علينا ان نتوخى سبيله حتى نظهر انا في المستوى وانا متماشون مع تطور العصر ولذلك اصبحنا امة مقلدة بعدما كان الغرب يقلدنا . ونورد في هذا السبيل ما نشر بكتاب "بلانسيا" بالاسبانية من تذمر احد الاساقفة الاسبان في القرون الوسطى وهو "البارة القرطبي" حيث يقول عن الشبان المسيحيين : " انهم يتلذذون بقراءة القصائد والقصص العربية ويدرسون مذاهب المتكلمين و الفلاسفة المسلمين لا ليدحضوها ولكن ليكتسبوا اسلوبا عربيا جميلا وصحيحا ، ويستمر قائلا :"اين يوجد اليوم من غير الرهبان من يقرا الشروح اللاتينية للكتاب المقدس ، آه ؟ ان الشبان المسيحيين (يعني الاسبان) الذين يمتازون لا يعرفون الا اللغة العربية والآداب العربية (ومن البديهي الفنون العربية) ، الي ان يقول وا المأه ! ان المسيحيين قد نسوا حتى لغتهم ومن بين الالف لا تكاد تجد اكثر من واحد يستطيع ان يكتب بلغة لاتينية سليمة رسالة لصديق . وبالعكس اذا كان المقصود الكتابة بالعربية وجدت عددا كبيرا من الناس يعبرون عن افكارهم بلغة جميلة و ينضمون القصائد التي تفوق قصائد العرب انفسهم .

- فحالنا الآن لا تبعد كثيرا عن حالة الشبان الاسبان ازاء الثقافة العربية كما بين الاسقف البارة القرطبي واذا استمرينا السير في هذا السبيل فسوف يتحول ابناؤنا واحفادنا لا قدر الله الى شر ذمه من الناس نخجل من انتمائها الى لغتها ودينها وفنونها بل يصبح بعض المسؤولين منهم دعاة لترك الاصالة والتأقلم مع الثقافات الاجنبية فيحققون بذلك مالم يستطع الاستعمار تحقيقه طيلة عشرات السنين .

سأتناول بابا واحدا من ابواب الثقافة بالعلاج فاسحا المجال لغيري لبيان سبل اصلاح الابواب الاخرى حتى لا تتشتت الجهود وحتى

نضمن الموضوعية في اقتراح الاصلاح – الا وهو باب الموسيقى ونقسم موضوع الموسيقى الى عدة مناهج اولها : التربية والتعليم على اختلاف درجاته من رياض الاطفال الى النشاط الجامعي والتعليم المختص .

1 -ففي رياض الاطفال والتعليم الابتدائي لا بد لنا من توجيه مشاهير الادباء والملحنين لانتاج مجموعة من الاناشيد والاغاني تراعي مستوى سن الاطفال في تناول ارتباطهم بالاسرة والوطن وحب الحياة والجمال والتعاطف والاخلاق السامية احساسا وسلوكا في الحان تبرز اهم الايقاعات والمقامات العربية المحلية مستوحات من التراث الشعبي والتقليدى للقطر الذى ينتمي اليه الطفل ، وبذلك نربطه بجذوره مع ما يقوم به ابواه من تاصيل في كلامه والحانه وسلوكه اذ الطفل يولد على الفطرة وهما يغرسان فيه عروبته ودينه ،ويضمنان به استمرار ارتباط الحلقات الذهنية للحضارة العربية الاسلامية ابد الدهر ان شاء الله .

ولضمان هذا البرنامج لا بد لنا من اعطاء الموسيقى الحظ المناسب في تكوين المروضات والمعلمين وذلك بتمكينهم من دراسة المقامات والايقاعات مطبقة بالعزف على احدى آلات الموسيقى العربية وخاصة منها العود بواسطة الترقيم الموسيقي مع تدريبهم على حسن اداء مجموعات الاناشيد الملحنة على تلكم المقامات ومصاحبتها بالعزف حتى يكونوا من دروس الاناشيد للاطفال مناسبة فرح تمكنهم من العناية والحفظ بكل شغف ، ويمكنهم الاستعانة بالوسائل السمعية لزيادة التاكد من غرس الذوق العربي السليم لدى اطفالهم .

ولا بد لنا من التخلي عما جلبه بعض خريجي المعاهد الاروبية من فرض استعمال آلات غربية في تعليم الغناء للاطفال مثل البيانو والاكورديون وغيرهما حيث ان هذه الآلات تعمل على غرس مركب النقص في اصالة الطفل علاوة عن عدم تمكنها من اداء اغلب مقامات الموسيقى العربية .

2 -في التعليم الثانوى نجعل مادة الموسيقى اجبارية في جميع الفصول والسنوات مع جعلها مادة اختصاص اختيارى في شهادة ختم الدروس . وتكون وسيلة لدراسة الترقيم الموسيقي مطبقا على نماذج من التراث العربي التقليدى من معزوفات واغاني مستمدة من اهم المدارس العربية الموسيقية حتى يبدأ الشاب من الآن في الشعور بانه ينتمي الى اسرة عربية كبرى لها مدارس عديدة لاصل واحد . ونعطيه في هذه الدروس القدر الكافي من اهم عناصر تاريخ الموسيقى العربية ليزيد اعتزازا باصالته كما نعطيه ما يضمن تفتحه على الثقفات الاجنبية من لمحات تاريخية معززة بنماذج من اهم مدارسها الفنية وتمكينه من سماعها مسجلة .

ونعمل بازاء الدروس الموسيقية النظامية على تاسيس فرق ومجموعات صوتية داخل المدرسة تتدرب على العزف والغناء في دورات أسبوعية تمكننا من اكتشاف الطاقات وتستجيب للهويات الفنية والجمالية في الشبان على ان تجرى سنويا مباريات بين تلكم الفرق على الصعيد المحلي والوطني وحتى القومي على غرار ما يجرى في الميادين الرياضية المدرسية على ان تقع العناية باهم تلكم الفرق بزيادة تدريبها في نطاق النشاط الثقافي الذى تقوم به دور الشباب ودور الثقافة، ويحدث لها حينئذ ملتقيات ومهرجانات وطنية وقومية لبروزها واعانتها على تسلم المشعل.

3 - واما التعليم العالي فيستمر فيه نشاط الفرق الموسيقية والمجموعات الصوتية على ان تكون المشاركة فيها اختيارية بقطع النظر عن الكلية التي ينتمي اليها الطالب كما تخصص فيه شعبة لتكوين اساتذة التعليم الثانوى للموسيقى واخرى للبحث العلمي في هذا المجال وترتبط بها الخزينة الوطنية للمسجلات التي تعنى بجمع التراث الموسيقي والغنائي ونشره بعد درسه فنيا وادبيا واجتماعيا.

4 - التعليم المتخصص وهو الذى يعنى بتكوين الفنانين الممارسين من عازفين ومغنين وملحنين وهو ذو ثلاث مراحل :

أ - ابتدائية وتعمم على جميع المناطق وتجمع بين تعليم الترقيم الموسيقي والعزف على احدى الآلات العربية وتعلم اهم المقامات والايقاعات العربية المحلية (من حيث قواعدها وتطبيقها) وتعد هذه المرحلة الشبان للمشاركة في الفرق الشبابية المحلية وللترشح لامتحان المرحلة الثانية من هذا التعليم.

ب - ثانوية - وهي تعمق دراسة الترقيم والاملاء الموسيقي والعزف مع دراسة المقامات والايقاعات العربية المحلية الفنية - ودراسة تحليلية للتراث الموسيقي العربي من خلال شواهد فنية يقع حفظها وتطبيقها كما تدرس هذه المرحلة الآلات الموسيقية العربية والغربية وعلى كل حال فآلة العود يفرض تعلمها على جميع الطلبة لانه يستعين بها المدرس والملحن والباحث والمؤدي.

ج - وتكون المرحلة العليا ابرع العازفين واحسن المؤدين الذين يقع تدريبهم جميعا على الارتجال في العزف والغناء وعلى التأليف الموسيقي والتلحين على جميع المقامات والايقاعات والاشكال العربية ويتناولون تلحين

الموشحات والقصائد والاغاني واناشيد الشباب ويدرسون اشكال التاليف الغربي واساليبه المتطورة .

- ولمواكبة التعليم الموسيقي على اختلاف اصنافه ومراحله لا بد لنا من الاكثار من بعث ورشات صنع آلات الموسيقى العربية حتى تستجيب لمتطلبات توسيع التعليم والتنشيط في هذا الميدان وحتى تصبح الآلات المذكورة في متناول الجميع بالسعر المناسب . وتكون هذه الورشات في الآن نفسه آدات فعالة لتطبيق البحوث المتعلقة بتطوير الآلات العربية وتحسين مردودها حتى لا ندع مجالا لارتماء شبابنا في الاسواق الاجنبية وبالتالي في الثقافات الغريبة عنه ويتنكر لاصالته .

الوسائل الاعلامية

للوسائل الاعلامية دورها الفعال في توجيه الشباب او تضليله لانها تدخل البيوت والآذان بدون استئذان وعليها حينئذ ان تخصص حصصا يومية تبث فيها التراث الموسيقي القطرى لتركيز الشخصية الثقافية للشباب وحصصا اسبوعية قارة وموحدة لموسيقى كل قطر عربي آخر حتى تجعل الشاب العربي يشعر بانتمائه الى وطن عربي كبير ذى اصل موحد في باقة ذات الوان مختلفة متعة للناظرين ، ثمم بعد ذلك نخصص حصص تثقيفية تعرف بمختلف المدارس العالمية للموسيقى نركز فيها بالخصوص على التي للبلاد الاسلامية والبلاد التي لها فترات تاريخية عربية أو اسلامية لبيان مدى الاشعاع العربي ، وعلى الاذاعات والتلفزات وشركات التسجيل ان تخصص جانبا من برامجها لبث لمحات تاريخية من أسطع صفحات الموسيقى العربية وحصصا لتعليم التراث الغنائي (ولنا في ذلك تجارب جد ناجحة) واخرى لبث القطع المنتجة على مهيع التراث مع التعليق عليها ليتفهمها الجمهور ويدرك ايجابياتها كما تعمل على التعريف باشهر الفنانين الذين كانوا واسطة خير لتسليم المشعل من الاجيال السابقة للجيل الحاضر .

ونشير للجرائد والمجلات على اختلاف مشاربها واختصاصاتها ان تفتح ابوابا للنقد الفني البناء للتعريف بالتراث وبالانتاج الحديث عوض الاطناب في التحدث عن السلوك الخاص لفناني البلدان الاجنبية الذى لا ينفع جمهورنا العربي بل هو ينمي فيه مركب اكبار الأجنبي واحتقار بني جنسه .

واما دور اتحاد الموسيقيين العرب والاتحادات القطرية فاني أرى ان تعمل على اعانة المؤسسات التي تعنى بالتعليم والتنشيط الموسيقين

بالخبرة وتسعى معها على تنمية الهواية الموسيقية لدى الشباب ليتكون منه المستمع المرهف العارف بما يستمعه القادر على التفريق بين الغث والسمين، ويهيئ المتفوقون منه للتبحر في الدراسة ليكون منهم المحترف الممتاز الذى يساهم في بناء الحضارة العربية باوفر قسط ويشرف مكانتنا العربية في بناء الحضارة الانسانية عامة .

وعليه ان يتوخى سبيل بعض البلدان الاشتراكية في ذلك مثل اجراء المباريات السنوية لاختيار احسن العازفين على مختلف الآلات الموسيقية العربية، واحسن المطربين والمطربات ويمكنه التعاون مع الاذاعة والتلفزة على ذلك في اعداد برامج خاصة يشرك فيها جمهور المستمعين والنظارة في التحكيم وكذلك احسن الملحنين ويعمل على ابراز الفائزين في حفلات عمومية ليتعود عليهم الجمهور ويتعودون عليه وكذلك في حصص اذاعية وتلفزية ثم تسجيل اعمالهم على كاستات سمعية وبصرية كل ذلك على الصعيدين القطرى والقومي وعلى الاتحاد ان يسعى لاستصدار القوانين التي تحفظ كيان الموسيقيين المحترفين ولا تسمح بالاحتراف الفني الا للشبان اللذين تبرز كفاءاتهم بعد اجتياز مناظرة، ثم نعمل على احداث اتحادات للشبيبة الموسيقية في اقطارنا ترتبط بمثيلاتها في مختلف بلدان العالم لضمان التبادل بين الافراد والفرق وابراز موسيقانا العربية في الاوساط الشبابية وهو خير ضمان لرواجها العالمي في المستقبل .

وهكذا يصبح لنا شباب ممارس سليم في توجهاته وشباب مستمع دقيق في استماعه ونقاد اكفاء يدلون على الخير ويحثون على اجتناب الخطأ وتكون لنا حركية دائمة ان شاء الله ينتقل فيها المشعل بين ايد سليمة من جيل الى جيل مستمر الاشعاع في الداخل والخارج متصاعد الاضاءة الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .